

أسلوب النضال السلمي والديمقراطي

قسم الاعلام بحزب الشعب الارترري
2009 / 9 / 3م

في هذه الأونة تدور في أوساط الارتربيين مناقشات حامية حول كيفية إزالة نظام الهدف، في تجربتنا الماضية كان مفهومنا لكيفية حل التناقضات يكاد يكون واحداً، ألا وهو تقسيمنا للتناقضات الي معادية وغير معادية، فبالنسبة لغير المعادية يمكن التعايش معها بحل الإشكال معها بالتفاهم والحوار الديمقراطي، أما المعادية فالاختلاف الفكري والعملية معها كبير للغاية ولا يوجد من سبيل للتقارب أو التفاهم معها، بل ويندر العيش معها بسلام إلا في ظل وجود العدو المشترك، وبالتالي لا بد من تصفية هذا الاتجاه ومحوه من الوجود كلياً، أي كنا قد فلسفنا رؤيتنا لتناقضاتنا علي هذا النحو.

لقد ساد لدينا مفهوم أو اعتقاد مفاده أن التنظيمات المتباينة سياسياً لا يمكن أن تحتكم الي مبدأ إدارة الخلاف بينها بصورة ديمقراطية ولا يمكن أن تلتقي وتعيش معاً إلا في وجود أوضاع استثنائية تجبرها علي المهادنة، بل شمل ذلك المفهوم حتى علاقاتنا الاجتماعية، فأني سوء تفاهم كان يؤدي الي التوتر والمقاطعة الاجتماعية، وبإيجاز كان الكل يتربص بالأخر، أما إمكانية التعايش والتآلف رغم وجود الخلافات فكان مفهوماً غريباً لدينا، فإما اتفاق ووثام تام وإما اختلاف واقتتال.

لقد برزت خلال المسيرة السياسية الارتررية العديد من الخلافات، وكلها حاول الفرقاء فيها حلها عن طريق العنف، ولأنه لم تتم أية محاولة لحلها سلمياً، فقد بقيت حتى الآن بغير حل، ليس ذلك فحسب، بل نجد أن الرواسب السلبية لتلك الخلافات من ضغائن وأحقاد ما تزال حيةً مشتعلة، وبالتأكيد فإن كل نزاع أو خلاف نحاول حله عن طريق العنف تترتب عليه آثار سلبية يصعب محوها حتى بتقادم الزمان، كما أن الحل بالعنف لن يضع نهايةً سلميةً للخلاف إن لم يفاقمه ويعقده أكثر.

إن تغيير هذا المفهوم أو هذه الثقافة التي لا ترى للخلاف حلاً سوى العنف، تغييراً جذرياً، بات اليوم أمراً ضرورياً، أي يجب أن يسود مكان هذه الثقافة والعقلية العنيفة البالية ثقافة سلمية مواكبة للعصر تؤمن بالحل السلمي لأي خلاف أو نزاع، أيأ كان حجمه أو درجة خطورته.

لإنفاذ هذا المبدأ السلمي في حياتنا السياسية والاجتماعية يجب أن نقر بالنقاط المبدئية الأساسية التالية:-

- 1- لكل إنسان الحق في امتلاك واختيار رؤية خاصة به.
- 2- ينبغي لكل الأطراف التي يوجد بينها خلاف، أياً كان حجم ونوع خلافها، أن تسلم بحتمية العيش المشترك.
- 3- بغض النظر عن أية فروقات طبيعية أو غير طبيعية بين الأفراد، كل الناس سواسية في الحقوق والواجبات.
- 4- القانون الذي يقره كل المجتمع الوطني يجب أن يكون سائداً وسارياً علي جميع أبناء الوطن.
- 5- بدلاً من العيش أسرى ضغائن وعيوب ونواقص الماضي، يجب وضع الحلول الموضوعية للخلافات الراهنة بنظرة واسعة الأفق ترنو الي المستقبل البعيد والقريب.

إن حل الخلاف بالطرق السلمية والديمقراطية، ليس بالأمر السهل، فهو يحتاج الي قدر كبير من التعقل والتحمل والتخلي بالصبر والأخلاق الفاضلة، وكل من يريد حل الخلاف سلمياً وديمقراطياً يجب أن يساوي بين نفسه والآخرين في المرتبة من حيث المزايا والعيوب، إذ التعالى علي الناس مناقض للثقافة الديمقراطية والسلمية، والعنف فضلاً عن كونه وسيلة الجهلاء والعاجزين والخواوين فكرياً، فهو أيضاً وبنفس القدر وسيلة المتعاليين الذين يضعون أنفسهم فوق رؤوس الناس ويرون لأنفسهم من المزايا والحقوق ما لا يرونه للناس، كذلك فإن العنف بالإضافة الي أنه سلاح الأقوياء لقهر الضعفاء، فهو أيضاً مناقض تماماً للأسلوب المشروع للعمل في أي مجال من المجالات.

وفوق هذا وذاك، من المهم جداً أن نعلم أن كل معالجة عن طريق العنف تضعف ولا تقتل، أي تسكن الخلاف مؤقتاً ولا تحله، بل تجذره وتعمقه أكثر، وفي تجاربنا الماضية نجد أن ما اتبعناه من طرق عنفية لحل الخلاف بين الجبهة والحركة، الجبهة والفالول، الجبهة واليمين، الجبهة وقوات التحرير الشعبية، الجبهة الشعبية والمنكع، الجبهة الشعبية واليمين، الجبهة الشعبية والجبهة، لم يؤد الي اختفاء تلك القوى التي اتخذت بشأنها خطوات التصفية عن طريق العنف، وكل ما حدث جراء تلك الحروب هو أن الجميع جنى الي جانب الخسائر المادية والبشرية خسائر معنوية ما تزال آثارها باقية، لذلك فالعنف لا يولد غير المزيد من العنف والدمار، ولن يجني منه أحد حلاً دائماً ومستقراً. أما الأسلوب السلمي الذي يعمل علي تقريب المسافات بين الفرقاء وإزالة الفجوات بينهم بروح هادئة ورزينة فهو من شأنه أن يقود الي حل أو صلح دائم بين الأطراف المتنازعة. لذا فإن منطلق الأسلوب السلمي الديمقراطي للنضال يقوم بالدرجة الأولى علي العمل علي إبدال ثقافة العنف بثقافة السلم.

اليوم يدور النقاش حول كيفية حل التناقض الظاهر بين عامة الشعب الارتري ونظام الهدف، علي أن المناقشة والخلاف الحاد حول هذه القضية يجد جذوره البعيدة فيما ظللنا نحمله حتى الآن من عقلية قديمة وغير مواكبة، فهذه العقلية لا تعرف أن هناك حلاً لأي خلاف سوى العنف، إذاً فالإشكالية اليوم تكمن في التناقض بين عقلية العنف القديمة البالية وبين العقلية السلمية الجديدة والمعاصرة التي نريد لها أن تسود.

لقد كان السائد في ماضيها أن كل شيء للغالب أو المنتصر ولا شيء للمهزوم، ولا زالت مثل هذه العقلية تسيطر علينا، لذا بدلاً من أن نركز جهودنا في تحقيق الهدف المشترك الذي هو إسقاط النظام، نفكر في البدائل أفراداً، أي الحكام، أو تنظيمات، أي التنظيمات الحاكمة، ومن ثم يسعى الكل بما يراه مناسباً للانفراد بالسلطة، فرداً كان أو تنظيمياً، وبذلك يشتد التنافس والتوتر بما يشجع الكل لاتخاذ أسرع الطرق الي السلطة حتى لو استدعى الأمر استخدام العنف والتدمير.

لقد اعتقدنا أنه طالما أن الجبهة الشعبية قد هزمت جبهة التحرير الارترية وبعد تحقيق الاستقلال استولت مجموعة إسياس في الشعبية علي مقاليد السلطة واحتكرتها عن طريق القوة، فمن حقنا نحن أيضاً أن نهزم المجموعة الحاكمة لنحكم بدورنا بذات الطريقة والأسلوب، وهذه العقلية كانت النتيجة المنطقية لنوعية التفكير التي كانت سائدة فيما مضى من تجاربنا.

أما اليوم فقد اخترنا أن نتحرر من سطوة وسكرة ذلك التفكير ونميز بوضوح بين أعدائنا وأصدقائنا، ففي السابق كان جميع الارتريين في جميع التنظيمات قد نذروا أنفسهم للموت والاستشهاد في سبيل قضيتهم المشتركة، أي كانوا جميعاً يقاتلون من أجل تحرير بلادهم وإسعاد شعبهم، بيد أنهم جميعاً غدر بهم من قبل مجموعة إسياس، وعليه نجد أن كل الارتريين بما فيهم أفراد الجيش الرسمي الارتري قد نالوا نصيبهم من هذا الغدر، لذا فهم مثلنا تماماً في المعاناة، وبالتالي لا سبيل الي حل إشكالنا الداخلي هذا إلا بواسطة الأسلوب السلمي الديمقراطي، ولكي نقتنع كل ارتري مضطهد بجدوى نضالنا يجب أن نصطف جميعاً الي جانب معسكر المعارضة بصورة عملية ومخلصة، علي أننا لن نتمكن من كسب الشعب الي جانبنا ما لم نتبع الأسلوب السلمي الديمقراطي لا العنفي، وعندما نستقطب كل الشعب في صفوفنا سوف تبقى زمرة إسياس معزولة يحاصرها الضعف من كل الاتجاهات، هذه النوعية من التفكير فضلاً عن كونها جزءاً من العقلية والثقافة الجديدة التي ألينا علي أنفسنا تطويرها، تعتبر من جانب آخر ضماناً قوياً للانتصار النهائي في معركتنا من أجل الديمقراطية.

إن العقلية التي كانت سائدة من قبل ترى أن الأسلوب السلمي غير ذي جدوى، وأن الحل الذي يأتي بواسطة بطئ للغاية، وما ذلك إلا لأن هذه العقلية تعودت علي أن طريق الحل

السريع والحاسم هو العنف فقط، ولكن العكس هو الصحيح، فالحل السريع والمضمون لن يتحقق إلا بالأسلوب الديمقراطي السلمي، كيف؟ لأن هذا الأسلوب يمهد الأرضية الصلبة للحل الدائم والمضمون بتهدئة النفوس وترطيب الأجواء بين فرقاء الصراع. بالطبع هناك من يحاول أن يفهم هذا الأسلوب بأنه دعوة للحوار مع طغمة إسياس، وبالتالي يرى هؤلاء أن الدعوة الي حوار سلمي مع الطغمة الحاكمة التي لا تفهم ولا تتعامل إلا بلغة العنف أمراً جانباً للصواب.

إننا عندما نقول بالأخذ بالأسلوب الديمقراطي السلمي، يجب أن نوضح للجميع النقاط التالية:-

- 1- لنحدد أولاً من هم أصدقاء وأعداء شعبنا؟ في رأينا أن كل الارتريين المضطهدين هم أصدقاء لبعضهم يقفون معاً في خندق واحد، ويتحتم علي هؤلاء جميعاً أن يوحدا طاقاتهم في سبيل النضال ضد طغمة إسياس الحاكمة واجنثاتها، لا أن يبددوا تلك الطاقات في الصراع وتبادل الاتهامات بينهم، فكل خلاف بينهم لا يصب إلا في مصلحة الطغمة الحاكمة، بل يجب أن يتساموا فوق خلافاتهم ويترفعوا عن خلق ضغائن وثرارات جديدة تترتب عليها إشكالات عويصة يصعب حلها حتى في المستقبل البعيد.
- 2- ليكن معلوماً للجميع، أن لا أحد قد اختار طائعاً العمل علي الإطاحة بالمجموعة الحاكمة، فقد كان الكل مقرأ لتلك المجموعة بشرعية الحكم المؤقت بشرط أن تعمل علي جمع كلمة الشعب وتنال تأييده بالأسلوب الديمقراطي السلمي، وقد منحها الشعب الفرصة الكافية لذلك، لكن المجموعة إياها اختارت العكس، أي التعامل مع الشعب بالعنف والكبت والقهر، واضطرتنا جميعاً أن ننضم بدورنا الي خيار العنف، من هنا يتضح أن العنف لم يكن في الأساس خيارنا ولا خيار شعبنا، بل وحتى اليوم لا نرى أن ارترياً واحداً سوف يرفض قبول أية مبادرة سلمية من المجموعة الحاكمة تتنازل بموجبها من السلطة بالأسلوب الذي يختاره الشعب الارترى ويطمئن اليه وتبدأ بذلك عهداً جديداً من الحوار والتفاهم مع الشعب، تحالف المعارضة هو الآخر يقر من الناحية الرسمية بهذا المبدأ ولا يرفضه. إن الانعزال في حد ذاته يعتبر وسيلة أساسية من وسائل الأسلوب العنفي، وعموماً فإن عقلية مجموعة إسياس لا تقبل الأسلوب الديمقراطي السلمي فحسب، بل لا يدور في خيالها يوماً، لذلك فلا مناص أمام شعبنا من اتخاذ خيار العصيان المدني وسيلة للإطاحة بسلطة هذه الطغمة.
- 3- الأسلوب الديمقراطي السلمي للنضال ليس كما يظن البعض مجرد ترثرة كلامية فارغة، بل يتطلب قدراً عالياً للغاية من التضحية والإخلاص، يتطلب نضوجاً وذكاءً بالغاً يمكنك من السريان داخل أمعاء ومفاصل العدو وتفتيت أعضائه شلواً شلواً، وهو كأسلوب للنضال أكثر مشقةً من الأسلوب العنفي، لكنه مع ذلك الطريق الأفضل والأضمن للوصول الي الحل الناجع والدائم.

